الحمد لله ربِّ العالمين، أنزل لنا كتاباً عربياً مبيناً، فصَّل لنا فيه أجمل الأحوال التي ينبغي أن نكون عليها في الدنيا، والطريق القويم الذي يبلِّغنا أعلى المنازل العُلوية يوم الدين. سبحانه .. سبحانه، بيده الخير، وله الخير، وهو وحده الذي يعيننا بحوله وطوله وقوته على فعل الخير، وهو على كل شيءٍ قدير.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أرسل حبيبه ومصطفاه بخير دينٍ أنزله إلى خلق الله، وجعل على يديه كلَّ صلاحٍ ونجاحٍ في الدنيا، وبسببه وشفاعته كلَّ فوزٍ وفلاحٍ في الدار الآخرة.

وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ ورسولُه، حفظ الله لسانه عن الغيِّ والقبيح، وجعل قوله هو وحيٌ من الله عزَّ وجلَّ صريح، وقال فيما نطق به لسانه (٣: ٥النجم):

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى).

اللهم صلِّ وسلِّمْ وباركْ على سيدنا مُحَمَّد، الذي كان قوله بلاغاً عن الحقّ، وفعله هو المراد الذي يريده الحقُّ من الخلق، وأحواله كلها تدعو الخلق إلى المنهج الحقّ. صلى الله عليه وعلى آله الذين آمنوا به واتبعوه، وأصحابه الذين آزروه ونصروه، وأتباعه الذين أحيوا سنَّته وساروا على شريعته إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين، آمين .. آمين، يا ربَّ العالمين.

أيها الأحبة جماعة المؤمنين:

وضع النبي صلى الله عليه وسلَّم لنا وللمسلمين أجمعين – في حجَّة الوداع – قواعد إلهية، وسنناً نبوية، لو سرنا عليها واتبعناها لانتظمت كل أحوالنا الفردية والجماعية والأُسرية والدولية. تعالوا معي نذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وهو يُقعِّد هذه القواعد، وحسبنا أن نأخذ واحدةً منها – لأن الوقت لا يسع لجميعها.

خطب النبيُّ صلى الله عليه وسلَّم في جموع أصحابه في حجّة الوداع، وكان عددهم يزيد على المائة ألف، وكان يخطب فيهم بدون مذياعٍ ولا آلة، ومع ذلك يقول سيدنا أنس بن مالكٍ ﷺ:

(خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في منىً، فأخذ الله أسماعنا حتى كنا نسمع صوته ونحن في خيامنا)[1].

أسمع الله الجميع، ليكون حُجَّة عليهم وعلى مَنْ بعدهم إلى يوم الدين. وخطبهم مرةً ثانيةً يوم التاسع من ذي الحجة يوم عرفة في مسجد نمرة، وخطبهم مرةً ثالثةً في منى يوم العيد السعيد، وخطبهم أكثر من خطبة؛ ونجد لو لاحظنا عبارةً يُردِّدها في كل هذه الخطب جميعها، مع تنوّع أساليبها واختلاف ألفاظها، إلا أن هناك عبارةً فذَّة بألفاظها وعباراتها كرَّرها في جميع خطبه، فكان يقول لهم:

(أيها الناس: أى يومٍ هذا؟ فيقولون: يومٌ حرام، فيقول: وأى شهرٍ هذا؟ فيقولون: شهرٌ حرام، فيقول: وأى بلدٍ هذا؟ فيقولون: بلدٌ حرام، فيقول صلى الله عليه وسلَّم: إن أموالكم ودماءكم وأعراضكم حرامٌ عليكم، كحُرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، فلا ترجعوا بعدي كُفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض)[2].

---

[1] أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد، وابن سعد في طبقاته عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي ﷺ قال: "خطبنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ونحن بمنى، فَفُتِحَت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا وكنا جموع قريب من مئة ألف".

[2] روى أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ::(إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبٌ شَهْرُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، ثُمَّ

عبارة جامعة لسعادة المجتمعات الإسلامية، فإن الله عزَّ وجلَّ جعل لكل مسلمٍ حُرمة، لكل مسلمٍ حـ ـانة، ينبغي أن يُراعيها كل إخوانه من المسلمين، هذه الحُرمة تكون له بمجرد أن ينطق بالشهادتين، أما عمله فبينه وبين مولاه هو الذي سيتقبله منه ويُحاسبه عليه يوم العرض والجزاء، وفيه قال رب العزّة عزَّ شأنه (١٥الجاثية):

(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ).

الحـ ـانة الأولى: قتل المؤمن بغير حق. من الذي يكون له الحـ ـانة والحماية بين المؤمنين؟. قال فيه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلَّم:

(من قال لا إله إلا الله فقد عـ ـم مني ماله ودمه إلا بحقه)[٣].

ما دام قد نطق بالشهادتين أصبح معـ ـوم الدم، محفوظ المال، محفوظ العرض من جميع المؤمنين والمؤمنات، لا ينبغي لأى مسلمٍ مهما كان شأنه أن يتعدَّى هذه الحُرمات، لأن الله يحذِّر تحذيراً شديداً فيقول: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (٢٢٩البقرة).

أول هذه الحرمات: القتل.

لا ينبغي لمسلمٍ أن يقتل مسلماً قطّ، القتل لا يحلُّ في الإسلام إلا في ثلاثة مواضع قال فيها صلى الله عليه وسلَّم:

(لا ينبغي لأى إمرئٍ مسلمٍ أن يُقتل إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني – يعني الرجل المتزوج الذي يثبت عليه الزنا بالأدلة القرآنية التشريعية – والقاتل – الذي يقتل عامداً متعمداً ويثبت عليه القتل – والتارك لدينه المفارق للجماعة)[٤].

وهؤلاء لا يتولى قتلهم إلا وليُّ الأمر بعد صدور أحكام القضاء التشريعية الإسلامية، وإلا كانت مجتمعات المسلمين كغابة دهماء، يقتل القويُّ الضعيف، ويأخذ القويُّ حقَّه من الفقير بيده، وهذه لا تكون مجتمعات السلام التي دعا إليها نبي السلام صلى الله عليه وسلَّم.

أما من يقتل مسلماً من نفسه، فاسمعوا معي إلى قول الله عز وجل في شأنه:

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (٩٣النساء).

مادام قد قتل المؤمن عامداً متعمداً بغير حق فجزاؤه جهنم ومعها غضب الله ومعها تنزل عليه اللعنات من الله جلَّ في علاه – ولعنة الله لا تنزل إلا كما قال الله في كتاب الله: (أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (١٨هود)،

قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةَ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ – قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ – حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا – أَوْ ضُلَّالًا – يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلِّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ فِي رِوَايَتِهِ : وَرَجَبُ مُضَرَ)

[٣] البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عـ ـوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله).

[٤] روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة).

(فَلَعْنَةُ الله عَلَى الْكَافِرِينَ) (١٨٩البقرة)، الذين كذبوا بالله، وخالفوا هدي حبيب الله صلى الله عليه وسلَّم.

أما من لم يقتل بيده ولكن شارك ولو بكلمة في الحضِّ على القتل فقد قال فيه صلى الله عليه وسلَّم:

(من أعان على قتل مسلمٍ ولو بشطر كلمة – أى بنـ ـف كلمة – فليتبوأ مقعده من جهنَّم)[٥].

لأن المسلم يحرص دوماً على حُرمة أخيه المسلم، ويحاول أن لا يعتدي عليه أو يُسبِّب له أى أذى بأي طريقٍ حتى ولو كان فيه لفٌّ ودورانٌ كما يفعل البعض الآن.

وحدَّث النبي صلى الله عليه وسلَّم بالبـ ـيرة الإلهية عن الأحداث التي تحدث في زماننا بين الفرق المتنازعة في الأمة الإسلامية، فقال في شانهم:

(إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قالوا: هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريـ ـاً على قتل صاحبه)[٦].

وإياك يا أخي أن تسمع أو تُروِّج مثل ترويج المروجين، وتُدخل جنودنا البواسل في هذا الباب، لأنهم يدافعون عن أعراضنا وعن بلدنا وعن أموالنا، وإنما الحديث الذي يخـ ـُهم والذي يقول فيه نبينا:

(من دافع عن عرضه فمات فهو شهيد، ومن قاتل عن ماله فقُتل فهو شهيد)[٧].

فهؤلاء إنما يدافعون عن أعراضنا وعن أموالنا، ويُجرَّونهم إلى القتال ولا يدعُّون القتال، وإنما يدافعون عنا – رغماً عنهم – لهؤلاء القوم الذين تاهوا في الضلال، وأورثوا الأمة هذا الخبال، وشوَّهوا صورة الإسلام في العالم كله، بما يفعلونه ببعضهم مما ينافي شرع الله ويخالف هدي حبيب الله ومـ ـطفاه صلى الله عليه وسلَّم.

الحـ ـانة الثانية مال المؤمن:

وجعل النبي صلى الله عليه وسلَّم للمسلم حُرمةً في ماله، فلا ينبغي لمسلمٍ أن يأخذ مال مسلمٍ إلا بطيب نفسٍ، قال صلى الله عليه وسلَّم:

(إن هذه الدنيا حُلوةٌ خضرة وإن هذا المال لا يحلُّ إلا بطيب نفسٍ، فمن أخذ مالاً من أخيه رغماً عنه أو قهراً له فهو حرام)[٨].

فمن يغتـ ـب نـ ـيب إخوته في التركة فهو حرامٌ حرمَّه الله، ومن يخُصُّ بعض أبنائه في التركة بغير حقٍّ ويترك الباقين، فهذا مخالف لشرع الله وفيه يقول صلى الله عليه وسلَّم:

[٥] روي ابن ماجه والبيهقي في سننه وأبو يعلى في مسنده، عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله عزَّ وجلَّ مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله).

[٦] رواه أحمد والبخاري ومسلم عَنْ أبي بكرة ﷺ.

[٧] روى الترمذي والنسائي وأبو داود عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ).

[٨] روى أبو داود عن حنيفة الرقاشي ﷺ: (لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه). وروى أحمد وأبو داود والحاكم عن عمران بن حـ ـين رضي الله عنه: (من حلف على يمين مـ ـبورة كاذبًا متعمدًا ليقتطع بها مال أخيه المسلم فليتبوأ مقعده من النار)

(من منع ورثاً من إرثه حرَّم الله عز وجل الجنة يوم القيامة)[٩].

لأنها حقوقٌ فرضها الله، ولابد أن يطبقها المؤمنون التائبون المطيعون لله. فمن أخذ مال أخيه بغير حق – كأن يغشه في كيل، أو يغشه في وزن، أو يغشه في سعر، أو يخدعه في بيعٍ أو شراء، أو يخدعه في عقودٍ للذهاب الخارج، أو يتاجر فيه حتى عشنا ورأينا من يتاجر في حُجَّاج بيت الله الحرام، كل هؤلاء يجمعون أموالاً من حرام، ولذلك لو تدبرتم لوجدتم أن كل مالٍ يُجمع من حرام، لابد أن يُنفق في الذنوب والآثام، ولا يتقبل الله من صاحبه عملاً، فقد قال صلى الله عليه وسلَّم:

(إن العبد ليقذف باللقمة الحرام في جوفه لا يقبل الله منه عملاً أربيعن يوماً)[١٠].

حتى نهى النبي صلى الله عليه وسلَّم عن أخذ المال بسيف الحياء، بأن يحرج رجلاً – في عملٍ أو في مسجدٍ أو في أى مكان أمام مجموعة – ويقول له: أريد منك كذا، ويضطر أن يدفعها حرجاً وهو غير راضٍ، يقول في ذلك صلى الله عليه وسلَّم:

(كل ما أُخذ بسيف الحياء فهو حرام)[١١].

حتى الرجل الذي وهب زوجته ذهبها، وأصبح باعترافه يخ ُّها، وأراد أن يأخذه رغماً عنها، فإن ذلك لا يبيحه له الله. أو يضغط عليها لتذهب إلى أهلها وتأتي بميراثها فهذا نهى عنه الله، وقال للمؤمنين:

(فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) (٤النساء).

فلا نبغي أن تأخذ منها ما وهبته لها رغماً عنها، أو تجبرها إلى الإتيان بمالها الذي ورثته وهي كارهة، فإن هذا المال لا ينبغي إلا بطيب نفسٍ.

قاعدةٌ إقتـ ـادية إسلامية وضعتها الحضرة النبوية لإصلاح جميع الأحوال الإجتماعية بين المؤمنين والمؤمنات.

الحـ ـانة الثالثة للمؤمن وهي عرض المؤمن:

هي عِرْضُه، فلا ينبغي لمؤمن ان ينتهك عِرْضَ مؤمن، أو يتكلم في حقِّه بكلامٍ لا يليق، أو يعتابه أو يقول في حقه كلمة ليست فيه ليشينه ويعيبه بها، وإنما المؤمن دائماً وأبداً يردُّ الغِيبة عن أخيه، قال صلى الله عليه وسلَّم:

(من ردَّ الغيبة عن أخيه ردَّ الله عزَّ وجلَّ عنه النار يوم القيامة)[١٢].

ينبغي أن تدافع عن أخيك المؤمن، ولا تؤاخذه بالظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تؤاخذه بما تسمعه من أقوال، ولكن تتثبَّت كما أمر الواحد المتعال:

(إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) (٦الحجرات).

---

[٩] روى ابن ماجة: (مَنْ فَرَّ مِنْ مِيرَاثِ وَارِثِهِ قَطَعَ اللَّهُ مِيرَاثَهُ مِنْ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وقد تكفل الله عزَّ وجلَّ بتقسيم التركة ولم يجعل ذلك لأحد من خلقه، وبعد بيان ذلك بالتفـ يل عقب عليه سبحانه بقوله: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) (١٣، ١٤النساء).

[١٠] الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[١١] أخرج البيهقي والنسائي عَنْ حَنِيفَةَ الرَّقَاشِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ).

[١٢] رواه الترمذي عن أبي الدرداء ﷺ بلفظ (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة).

وفي قراءةٍ: (فتثبتوا). ما دمت لم تر عيناك، ولم تسمع أذناك، فلا تأخذ بالظن، فإن الظن قال فيه صلى الله عليه وسلَّم:

(إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث)[١٣].

ومعظم الظن يرجع بين المؤمنين والمؤمنات لأمرٍ هام، الإنسان يقول قولاً وله فيه نيَّة، وأنا لا أعلم هذه النيَّة، فأُفسِّر هذا الأمر بنيَّة أخرى في داخلي، وهذا هو الذي يورد الظن بين المؤمنين والمؤمنات. ما دُمت لم أطلع على نواياه، ولا أعلم قـ ـده من هذا الكلام، فعليَّ أن أُحسن الظن، فإن حُسن الظن من الإيمان، ولا يستطيع أحدٌ ضرّي إلا بإذنٍ من الرحمن عز وجل. قال صلى الله عليه وسلَّم:

(من قال على المؤمن كلمة ليُشينه بها وليست فيه، أُردخ في طينة الخبال في جهنم يوم القيامة)[١٤].

وهذا ما يُسمَّى في عالم اليوم التشنيع، يشنّع عليه بأمرٍ يعلم علم اليقين أنه ليس فيه، هذه الأمور ركَّز عليها النبيُّ، وجعلها أساس حياة المؤمنين، وقال صلى الله عليه وسلَّم في الحديث الجامع لنا أجمعين:

(كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[١٥].

أو كما قال: (أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة).

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بهداه وملأ قلوبنا بتقواه وجعلنا من عباده المسلمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنّجي قائلها في الدنيا وترفعه يوم الدين. وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبدُ الله ورسولُه، أسَّس الله به قواعد هذا الدين المتين، وجعله في الدنيا أُسوةً وفي الآخرة شفيعاً لنا أجمعين. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وآله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين، آمين .. آمين، يا ربَّ العالمين.

أيها الأحبة جماعة المؤمنين:

من جملة خطبة الوداع المباركة – التي خطبها سيد الأولين والآخرين – مقياسٌ إلهيّ، قدمه لنا حضرة النبيّ، لو عملنا به سعدنا أجمعين. وللأسف فإن الناس في عـ ـرنا تركوا هذا المقياس خلف ظهورهم، فساءت الأحوال وضاعت الأوضاع.

أمرنا النبي صلى الله عليه وسلَّم أن نُميِّز الناس بتقوى الله، لا نميزهم بما معهم من مال، ولا بما وصلوا إليه من منـ ـبٍ ولا جاه، ولا بما معهم من أولاد وعائلات، ولا بما تمتعوا به من حسبٍ ونسبٍ، وإنما أمرنا أن نميّز بين الناس بحسب ما في القلوب من تقوى علام الغيوب عزَّ وجلَّ، فقال صلى الله عليه وسلَّم:

(أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، ألا لا فضل لعربي على

[١٣] البخاري عن أبي هريرة ﷺ.

[١٤] روى أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله تعالى حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال)

[١٥] رواه أبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ.

أعجمي ولا لأعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود إلا بتقوى الله والعمل الصالح)[١٦].

وهذا الذي ذكره الله في القرآن فقال:

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) (١٣الحجرات).

الكريم عند الله هو التَّقي. وضرب النبي صلى الله عليه وسلَّم لأصحابه مثالاً عمليًّا، كان جالساً معهم ومرَّ عليهم رجلٌ من الوجهاء يبدو عليه أثر النعمة، فقال صلى الله عليه وسلَّم لمن حوله: (ما رأيكم في هذا؟، قالوا: هذا حريٌّ إن خطب – يعني تقدم لزوجة – أن يُنكح، وإن إستأذن على الأمراء أن يؤذن له، وإن تكلم يُنصت له. ثم مرَّ بعده رجلٌ رثُّ الهيئة من الذين يقول فيهم الحبيب: (إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبرَّه)[١٧]. فقال: ما رأيكم في هذا؟، قالوا: هذا حريٌّ إن خطب أن لا يُنكح، وإن استأذن على الأمراء لم يؤذن له، وإن تكلم لم يُنصت له، قال صلى الله عليه وسلَّم قولته الخالدة: (إن هذا ـ وأشار إلى الرجل الفقير ـ خيرٌ وأعظم عند الله من ملء الأرض من مثل هذا)[١٨].

فأساس التفاضل عند الله بالتقوى والعمل الصالح، فالمال زائل، ومن عنده مالٌ لا ينفع به نفسه إلآ إن أنفقه في الصالحات، وإلا أوبقه في جهنم إذا أنفقه في المعاصي والمخالفات.

وصاحب الجاه جاهه كبيرٌ عند الله إذا استخدمه في قضاء مصالح الفقراء والضعفاء من المسلمين، وإذا قصره على منافعه الشخصية ولم يسعى في منافع الأمة الحمدية، فحسابه عسيرٌ يوم يلقى الله عزَّ وجلَّ.

والحسب والنسب يقول فيه الله في الدار الاخرة:

(يا عبادي وضعتُ نسباً ووضعتم نسباً، قلتُ: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، وأبيتم إلا فلان وفلان بن فلان وفلان، اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي، أين المتقون؟ فيُنصب للقوم لواء ثم يؤمر بهم إلى الجنة)[١٩]:

(وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٦١الزمر).

لو تعاملنا بهذا الميزان النبوي، والتقوى في القلوب؛ (التقوى ها هنا)[٢٠] – كما أشار نبيُّنا، ولا يعلمها إلا إلهنا وخالقنا وربنا تبارك وتعالى.

فينبغي على المسلم احترام كل المسلمين، وتقدير كل المسلمين، وتقديم كل الخير للمسلمين، ما داموا ملتزمين بتعاليم الله، ومقتدين بسنة حبيب الله ومصطفاه، ويسعون لنفع جماعة المؤمنين على الدوام.

أسأل الله عز وجل في هذا الوقت المبارك الميمون أن يُصلح أحوالنا وأحوال أهل مجتمعنا، وأحوال أولادنا وبناتنا، وأحوال زوجاتنا، وأحوال حكامنا ورؤسائنا، وأحوال حكام المسلمين أجمعين، وأن يجعلنا جميعاً في الدنيا

---

[١٦] البيهقي عن جابر ﷺ.

[١٧] روى الترمذي عن حارثة بن وهب الخزاعي قال ﷺ: (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره). وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرَّه).

[١٨] رواه البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ.

[١٩] أخرجه الحاكم والبيهقى عن أبى هريرة مرفوعاً

[٢٠] روى أحمد والبزار وابن أبي شيبة عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ("الإِسْلامُ عَلانِيَةٌ، وَالإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ" ، ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ: "التَّقْوَى هَاهُنَا ، التَّقْوَى هَاهُنَا").

بشرعه عاملين، وبسنة حبيبه صلى الله عليه وسلَّم مستمسكين، وأن يوفقنا لصالح العمل والعمل الصالح، حتى يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا، وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميعٌ قريبٌ مجيب الدعوات، يا ربَّ العالمين.

كما نسألك اللهم ان تتغمَّد حجَّاج بيت الله الحرام الذين ماتوا، بمغفرتك ورضوانك، وأن تجعلهم في الدرجات العُلى من جنانك، وأن تجعلهم يحجُّون بيتك الحرام كل عام، وأن تلهم أبناءهم وأحبابهم الصبر والسلوان، وأن تقيِّض للمسلمين الوحدة والإعتصام بحبلك، وتقضي على الفرقة والمفرِّقين، وتجعل الإسلام في نعيمٍ الجماعة إلى يوم الدين.

اللهم أهلك الكافرين بالكافرين، وأوقع الظالمين في الظالمين، واقضِ على المفسدين الذي يسعون للإفساد بين المؤمنين والمسلمين، واجعل المسلمين في حصون أمنك وأمانك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله اتقوا الله: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالاحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (١٩٠النحل).

أذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

****